التمهيد :

لكي نفهم صلب الموضوع والمراد منه كان لابد من معرفة مصطلحات البحث ومقرراته ، والتي تعد بمثابة العيون التي يرى بها القارئ ما قد يستتر عليه من معان ربما تكون عقبة تحول دون الفهم والتأمل لفصول الرسالة ومباحثها فقد وردت هذه المصطلحات كثيراً في ثنايا هذا البحث ، ولذا كان لزاماً علي ان استهل هذا البحث ببيان معانيها اللغوية والاصطلاحية كي تتحدد معالم البحث وتتضح مدلولات الفاظه .

معنى الموقف في اللغة والاصطلاح :

الموقف في اللغة : الموقف مأخوذ من (الوقف) والمراد به كما يفهم من المعاجم اللغوية : المشاركة التي تقتضي أن يكون طرفان في القضية وهذا ما تحتاج اليه الخصومة ، يقول الفيروز آبادي : " والوقاف والمواقفة ان تقف معه ويقف معك في حرب أو خصومة ، وتواقفا في القتال وواقفه على كذا واستوقفته سألته الوقوف "[1].

والذي يبدو أن هذه اللفظة لا يحدد معناها سلباً أو ايجاباً إلا من خلال السياق ، يقول صاحب عمدة الصرف : " وان زيادة الميم في (مفعل) لا يحدد معناها إلا من خلال السياق ، فهو المعول عليه في كل استعمال لهذه الصيغ المتشابهة ، لأن هذا البناء يدل على الزمان والمكان "[2].

أما في الاصطلاح فهو : " نزعة إنسانية للاستجابة إلى حادث معين أو فكرة معينة بطريقة محددة سلفاً ، والمواقف قد تكون ايجابية أو سلبية "[3].

يفهم من هذا ان الموقف شعور خاص إزاء امر قد يكون من النوع المرغوب فيه ، وقد يكون من النوع غير المرغوب فيه ، وذلك يتوقف على موضوع الموقف ، وهذا القول ينطبق على المواقف الإنسانية لأنها كثيراً ما تكون متغيرة ، اما المواقف القرآنية فهي قوانين الهية صادرة من العليم الحكيم لكننا أردنا التوضيح وكشف المراد منها .

معنى التعامل في اللغة :

اصل اللفظة مأخوذ من (العمل) وهو(المهنة والفعل) [4]، قال الراغب : (العمل كل فعل يكون من الحيوان بقصد ، فهو اخص من الفعل لأن الفعل قد ينسب

---

(1) القاموس المحيط ، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت 817هـ) ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان : 206/3 .

(2) عمدة الصرف ، تأليف ، كمال إبراهيم ، ط2 ، بغداد ، 1957 : ص103 .

(3) معجم علم النفس ، انكليزي – عربي – فرنسي ، الدكتور فاخر العاقول ، ط2 ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، 1997 : ص18 .

(4) القاموس المحيط : 21/4 .

إلى الحيوانات التي يقع منها فعل بغير قصد ، وقد ينسب إلى الجمادات ، والعمل قلما ينسب إلى ذلك ويستعمل (العمل) في الاعمال الصالحة والسيئة)[1] .

والعمل يعم افعال القلوب والجوارح ، ولذلك قيل ، العمل لا يقال إلا فيما كان عن فكر ورويه ، ولهذا قرن بالعلم ، حتى قال بعض الأدباء : قلب لفظ العمل العلم تنبيهاً على انه من مقتضاه "[2].

ومن هنا كان المقصد من التعامل في هذا المبحث ، هو التعامل في كل ما يمس جوانب الحياة الإنسانية من فكر ونظر وعلم واعتقاد ، سواء أكان هذا التعامل يتم بأسلوب مباشر بين المتعاملين كما في المناظرات وبعض المناقشات ، أو بأسلوب غير مباشر كما في الردود والمناقشات والمعاملات الفكرية والتي تنشأ في الغالب بين أطراف غير محدودة ، بحيث يكون التركيز على الأفكار والآراء بقطع النظر عن أصحابها ، أما لأنهم مجهولون أو غير محددين، او لأن التعامل لا يريد الدخول في مواجهة مع احد[3] .

معنى الخصوم في اللغة :

الخصومة : الجدل ، وخاصمه خصاماً ومخاصمة غلبه بالحجة[4]، وقال الزمخشري : " واخصم صاحبه لقنه حجته حتى خصم"[5]. وقال الفيرز ابادي : الخصم المخاصم المنازع واصل المخاصمة ، ان يتعلق كل واحد بخصم الاخر أي بجانبه ، وان يجذب كل واحد خصم الجوالق من جانبه "[6].

وقد يكون الخصم للاثنين والجمع والمؤنث ، قال تعالى { وهل أتاك نبأ الخصم اذ تسوروا المحراب }[7]، وقال ذو الرمة :

أبر على الخصوم فليس خصم ولا خصمان يغلبه جدالاً[8]

ما يراد به هنا في هذا البحث فهو كل من وقف ضد ما جاء في القرآن الكريم في اطار العقيدة الصحيحة والفهم السليم للدين ، ولذلك سموا بخصوم الدين ، أي بين عقيدتين مختلفتين كالإيمان والكفر ، او المؤمن والمشرك وسواء أكانوا محاربين أم مسالمين .

---

(1) المفردات في غريب القرآن ، ابو القاسم الحسن بن محمد بن المفضل الاصفهاني (ت 502هـ) ، تحقيق محمد سيد الكيلاني ، مطبعة البابي الحلبي ن مصر ، 1381 – 1961 ، مادة (عمل) : ص348 .

(2) محيط المحيط ، تأليف المعلم بطرس البستاني ، مكتبة لبنان ، بيروت ، 1987 ،ص622.

(3) ينظر : فقه التعامل مع المخالف ، الدكتور عبد الله بن ابراهيم الطريفي ، ط1 ، دار الوطن ، الرياض ، 1415 : ص14 .

(4) لسان العرب ، محمد بن مكرم الانصاري الافريقي المصري ، 630 – 71هـ ، دار لسان العرب ، بيروت ، مادة (خصم) .

(5) أساس البلاغة للزمخشري ، دار الفكر ، بيروت ، 1415 – 1994 ، ص165 .

(6) ينظر : بصائر ذوي التمييز من لطائف الكتاب العزيز للفيروز ابادي ، تحقيق محمد علي النجار المكتبة العلمية ، بيروت ، 547/2 ، مفردات الاصفهاني ، ص149 .

(7) سورة ص : الآية 21 .

(8) ديوان ذو الرمة ، قدم له وشرحه ، احمد حسن بسبح ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1، 1415 – 1995 ، ص202 .

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله القائل " ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم "[1]، وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه أجمعين . أما بعد

تعد الدراسات الإسلامية في علم التفسير من أهم الدراسات الشرعية ، وتأتي هذه الأهمية من كون ان المصدر التشريعي الأول لها هو القرآن الكريم لما احتواه من أحداث ومسائل وأحكام تكشف المنهج الرباني في معالجة تلك القضايا ، ومن هنا يشعر دارسو الفكر الإسلامي وهم يمارسون الدور التوجيهي والتثقيفي بالحاجة الكبيرة إلى الدراسات الإسلامية الموضوعية التي تعالج قضايا الحياة من موقع المفهوم الإسلامي الشامل لأنهم يواجهون الفراغ الكبير للحلول الإسلامية أمام الكثير من المشكلات التي تفرض نفسها على الساحة سواء في الداخل عندما يضع البعض علامات استفهام في أكثر من قضية أو في الخارج عندما يقف اعداء الإسلام يشيرون في وجه الدارسين الشبهات والاتهامات والأفكار السلبية التي يقصدون منها إثارة الضبابية في التصور الإسلامي للحياة .

ومن اجل الوقوف على جوهر العلاقة بين القرآن وخصوم الرسالات السماوية وكيفية التعامل معهم في ضوء المنهج الالهي آثرت ان يكون عنوان موضوعي بـ (الموقف القرآني من التعامل مع الخصوم) .

ربما يرمي العنوان الذي وضعته للبحث بأني في مجال بحث مادي يتناول الجوانب المتعلقة بالصراع والقتال وغير ذلك من المفاهيم التي تتحرك في اطار السلام والحرب ، ولكنني انظر إلى التعامل مع الخصوم قضية عامة تتناول كل الجوانب التي تسهم في تكامل الوجود الإسلامي وثباته وقدرته على البقاء والاستمرار والتواصل مع البشرية لأن القوة المادية لا تمثل شيئاً كبيراً في ربح المعركة اذا لم تسندها القوة الروحية .

لم يكن غرضي من اختيار هذا الموضوع في التفسير الموضوعي ان أزيد إلى المكتبة القرآنية كتاباً تفسيرياً جديداً فأنا لست من فرسان هذا المجال وانما الذي دفعني هي جملة أمور منها :

ازدياد عمق الشعور بالحاجة إلى مثل هذا البحث خاصةً بعد أحداث الحادي عشر من ايلول عام 2001 وما صاحبها من هجمة صليبية اعادت المقولة القديمة بان الإسلام انتشر بالسيف بثوب جديد اسمه (الإرهاب)، وان الدين الإسلامي دين قتل وسفك دماء وبربرية لا حد لها .

ومنها للرد على مروجي الفكرة القائلة ، ان الدين الإسلامي لا يتحمل المناقشة ولا يشجع على الحوار ولا يعترف بالانفتاح الواعي على أفكار الآخرين ، الأمر الذي استغله الآخرون الذين يحملون أفكاراً معادية للدين ، فعملوا على الإيحاء إلى الأجيال الطالعة بان الإيمان الأعمى سبيل الدين إلى الحياة فأردت ان أبين الطريقة

---

[1] سورة فصلت : 34 .

العلمية التي استعملها القرآن مع خصومه ، وكيفية الرد عليهم في موضوعات مختلفة ، عقائدية ، اجتماعية ، سياسية 0000 الخ قبل ان يعرف العالم المتحضر قانون التعامل مع الآخرين والذي أسموه بـ (القانون الدولي) قبل قرون عديدة .

ومنها عزل بعض أحكام القرآن بحجة عدم مواكبتها للعصر والتطور ومن هنا فقد قمت بجمع الآيات المترابطة في بيان شبه الخصوم ومزاعمهم ومناقشتها فضممت بعضها إلى بعض كي ترفع من إجمال كل بما في الأخرى من بيان وتفصيل ولتكمل من قصور كل بما في الأخرى من تمام وكمال ثم صببتها في قالب دراسة موضوعية شاملة ، فاذا اكتمل واستوفى أهدافه اردفته بسائر الدلائل والمسائل تتميماً للفائدة .

وهكذا نجد في الدراسة الموضوعية للقرآن الرد الحاسم على تلك الفكرة المشوهة للدين الإسلامي والتي تصرخ بوجه الخصوم لتعلن ان القرآن انطلق من اعتبار العقل أساس من أسس المعرفة ، واعتبار الحجة هي الأساس للإيمان بالحقيقة ، فلم يترك جزئية مع خصومه إلا وناقشها ، وكما اجمل ذلك الامام الغزالي بقوله "وعلى الجملة فالقرآن من أوله إلى آخره محاججة مع الكفار "[1] فالمواقف القرآنية بما فيها من أساليب اقناعية متنوعة كفيلة بان تعالج الأمراض التي سيطرت على عقول الخصوم وان تردهم إلى صوابهم ورشدهم ولبعث السكينة في قلوبهم ان أرادوا ذلك .

لقد حاولت ان أثير موضوعاً مستقلاً لأنني لم أجد في حدود قراءتي كتاب يعالج شبهات خصوم القرآن ومزاعمهم بشكل موضوعي ، بل ما وجدته بعض الأبحاث المتناثرة في هذا الموضوع ، فإن ما قدمته في هذه الدراسة ليس إلا إسهاماً متواضعاً وجهداً بذلته في هذا الموضوع القرآني الذي بات يهم البشرية كلها كي تعي حقيقة الخطاب القرآني الموجه للخصوم، ان التعرف على مواقف القرآن مع خصومه عمل ضروري يحتاجه المسلم المعاصر سواء أكان فرداً ام جماعات حتى يكون التحرك الإسلامي مثمراً وقادراً على كسب المسالم منهم ورد شر المحارب وبالتالي يمنح المسلم المعاصر القدرة على الإبداع والابتكار في اعتماده الأساليب المناسبة مع خصمه بروح عصرية قادرة على حل مشكلاته ضمن الأوعية الشرعية التي جاء بها القرآن الكريم .

وقد اقتضت طبيعة البحث ان يجيء مكوناً من بابين بستة فصول يتقدمها المقدمة والتمهيد وتتأخر عنهما خاتمة البحث .

فقد اشتمل التمهيد على بيان معاني مصطلحات البحث من الناحية اللغوية والاصطلاحية ثم شرعت في الباب الأول – أهداف المواقف القرآنية وسماتها وأهدافها وموقف القرآن مع الخصومات العقدية (الإلهيات والنبوات) وجعلته في ثلاثة فصول هي : الفصل الاول – أهداف القرآن الكريم من اتخاذ المواقف وأسباب المواقف القرآنية وسماتها وأساليبها ، وقسمته على أربعة مباحث هي :

---

[1] احياء علوم الدين ،للأمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي (505هـ) مؤسسة الحلبي وشركاه – القاهرة – 1358 – 1939 : 120/1 .

المبحث الأول : أهداف القرآن الكريم من اتخاذ المواقف وجعلته في ستة مطالب أجملت فيها تلك الأهداف .
المبحث الثاني : ذكرت فيه أسباب اتخاذ الموقف القرآني ضد خصومه .
اما المبحث الثالث فقد ضمنته سمات الموقف القرآني ضد خصومه .
وفي المبحث الرابع جاءت الأساليب القرآنية في اتخاذ الموقف ضد خصومه وجعلته في ثلاثة أقسام – القسم الأول : الأساليب اللفظية ، والثاني : الأساليب العقلية ، اما القسم الثالث فقد اشتمل على الأساليب العملية .
الفصل الثاني – موقف القرآن الكريم من الخصومات العقدية (الالهيات) ، وجعلته في مبحثين هما :
المبحث الأول : موقف القرآن من اهل الإلحاد وكان بمطلبين – الأول : أسلوب القرآن في إثبات وجود الله تعالى ، والمطلب الثاني : إثبات وجود الله بطريق الفطرة وأساليبها في إثبات وجوده تعالى .
اما المبحث الثاني : فهو الموقف القرآني في الرد على اهل الشرك وكان بمطلبين الأول : منهج القرآن في اثبات التوحيد للخالق ، والثاني الرد على مظاهر الشرك
الفصل الثالث – موقف القرآن الكريم من خصومات الأنبياء والرسل (عليهم السلام) وجاء بمبحثين ، المبحث الأول : جعلته بمطلبين :
المطلب الأول : معنى النبوة والرسالة والفرق بينهما والحاجة إلى دعوة الأنبياء والرسل وأهميتها ، اما المطلب الثاني : فكان خصائص الأنبياء والرسل (عليهم السلام) ، اما المبحث الثاني فهو عن شبهات خصوم الأنبياء والرسل وموقف القرآن منها ويتضمن سبعة فروع وهي : التكذيب ، الاعراض ، الجنون ، السحر ، الاستهزاء، الضلال ، البشرية)
الباب الثاني : موقف القرآن الكريم من خصومات القرآن واليوم الآخر وخصومات اهل الكتاب والخصومات الحربية ، وجعلته في ثلاثة فصول وهي :
الفصل الأول : موقف القرآن الكريم من خصوم القرآن واليوم الاخر وجعلته في مبحثين : المبحث الأول : وجاء في مطلبين – الأول : بيان معنى القرآن والشبهات التي أثارها خصومه ، والثاني : موقف القرآن من تلك الشبهات بالأساليب القرآنية: الأسلوب الأول : التحدي والثاني : الطريقة العقلية التحليلية .

اما المبحث الثاني فجاء في أربعة مطالب وهي :
المطلب الاول : معنى اليوم الاخر ومسمياته وعقيدته في الملل والشرائع السابقة.
المطلب الثاني : أدلة وجوب اليوم الآخر وضرورته .
المطلب الثالث : أسباب إنكار اليوم الآخر وشبهات المنكرين له .
المطلب الرابع : موقف القرآن من تلك الشبهات والرد عليها .
الفصل الثاني : خصومات اهل الكتاب ، وجعلته في ثلاثة مباحث وهي :
المبحث الأول وجاء بثلاثة مطالب :

الأول : في المراد بأهل الكتاب .والثاني : موقف القرآن من اهل الكتاب وكان احد عشر موقفاً وهي : الأدلة التي تؤيد نبوة محمد (ρ) ، الدعوة إلى مواطن اللقاء المشترك بين الشرائع السماوية ، الزامهم الحجة على صدق دعوى النبي (ρ) من خلال كتبهم ، غلو أهل الكتاب في دينهم ، ودعاوى أهل الكتاب المزيفة بالانتساب إلى الحنيفية ، بطلان عقيدة أهل الكتاب ، تعصب أهل الكتاب ، تكذيب أهل الكتاب بعضهم البعض ، تفاوت أهل الكتاب في عدائهم للإسلام ، البغي والحسد أساس امتناع أهل الكتاب عن دخولهم الإسلام ، ومعايير الصدق والإيمان عند أهل الكتاب .
المطلب الثالث كيفية مواجهة القرآن مزاعم أهل الكتاب وادعاءاتهم وهي :
المجادلة بالحسنى ، قبول الجزية منهم دون غيرهم ، معاملتهم بحسن الخلق وان ظهر خلافه .
المبحث الثاني : موقف القرآن الكريم من خصومة اليهود ، وجعلته في أربعة مطالب وهي :
المطلب الأول : سبب تسمية اليهود ، والثاني : مساوئ اليهود كما صورها القرآن وجاء في خمسة فروع : الفرع الاول :ترك العمل بالتوراة والثاني : نقضهم العهود ، والثالث : عداوتهم لبعض الملائكة والرابع : قتلهم الأنبياء ومحاولتهم قتل النبي (ρ) والخامس : حبهم وحرصهم على الحياة .
المطلب الثالث : موقف القرآن من مواقف اليهود الحجاجية الزائفة وجاء بأربعة فروع وهي : الفرع الأول : موقفهم من عيسى (عليه السلام) والثاني موقفهم من النسخ والثالث موقفهم من تحويل القبلة والرابع محاججتهم الرسول بالأسئلة التعجيزية .
المطلب الرابع : زعمهم أنهم شعب الله المختار وجاء بفرعين : الأول : أسس ادعاء اليهود أنهم شعب الله المختار ، والثاني : مظاهر ادعاء اليهود أنهم شعب الله المختار والرد عليها .
اما المبحث الثالث فكان عن موقف القرآن من خصومات النصارى وجعلته بخمسة مطالب : الاول : في معنى النصارى وموقف القرآن من تحريفهم للأناجيل .
والثاني : الوهية المسيح وموقف القرآن منها . والثالث : عقيدة الصلب والفداء وموقف القرآن منها . والرابع : قضية التثليث وموقف القرآن منها والخامس : الرهبنة عند النصارى وموقف القرآن منها .
الفصل الثالث :موقف القرآن من الخصومات الحربية ، وجعلته في اربعة مباحث
المبحث الاول : لماذا شرعت الحرب ؟ والثاني : بواعث القتال في القرآن وجاء بأربعة فروع هي : الاول : القتال في سبيل الله ، والثاني : حماية العقيدة ودفع وقوع الفتنة ، والثالث : الانتصار للمظلومين والمضطهدين من أتباع العقيدة ، والرابع : القتال الوقائي ممن ينقضون العهد .
المبحث الثالث : اداب الحرب وجاء بأربعة فروع هي :

الاول : الآمنون في الحرب ، الثاني : تمالك النفس ومنع الإعمال الوحشية والثالث: الاستعداد والتهيؤ للحرب ، والرابع : المعاملة الحسنى لأسرى الحرب المبحث الرابع : موقف القرآن من الخصومات الحربية مع أهل الكتاب والكافرين

اما الخاتمة فقد أجملت ما حاولت الوصول إلى بيانه في فصول البحث متضمنة أهم النتائج التي توصلت إليها .

لقد بذلت من الجهد ما وفقني الله اليه – فله الشكر والمنة – وحاولت جاهداً دراسة الموضوع دراسة ينفع الله بها قارئيه ولعلها تكون إضافة ايجابية لما كتب ويكتب الآن في الساحة العلمية بما يخدم القرآن والمسلمين واني اعترف بأني قد فاتني الشيء الكثير مما نسيته أو قصرت طاقتي عن الوصول اليه ، ومهما يكن من تشعب الرحلة التي قضيتها على صفحات هذا البحث فهي نقله يسيره بالقياس إلى الرحلة الإنسانية الكبرى في القرآن الكريم ، ولعل ما بقي منها إضعاف ما سلف لأن السعي إلى الحقيقة الأبدية لا يزال سعياً موصولاً في كل جيل وحسبي انه جهد بشري .

وختاماً أتوجه إلى رئيس لجنة المناقشة وأعضائها الفضلاء ان يأخذوا بيدي نحو معرفة أخطائي وعثراتي وان تكون هذه الاطروحة لبنة متواضعة في صرح الدراسات القرآنية ، وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على اشرف الخلق أجمعين محمد وآله وصحبه أجمعين .

إقرار لجنة المناقشة

نشهد نحن أعضاء لجنة المناقشة ، اطلعنا على أطروحة الطالب (إياد حميد إبراهيم) الموسومة بـ(موقف القرآن الكريم من التعامل مع الخصوم دراسة موضوعية) . وناقشناه في محتوياتها ، و في ما له علاقة بها، وهي جديرة بالقبول بدرجة (امتياز) لنيل درجة الدكتوراه في أصول الدين / التفسير وعلومه .

التوقيع :
أ.د.عبد الستار حامد الدباغ
رئيساً

التوقيع :
أ.م.د.هاشم عبد ياسين
المشرف / عضواً

التوقيع :
أ.د.عبد القهار داود العاني
عضواً

التوقيع :
أ.م.د.عبد الغفور محمد القيسي
عضواً

التوقيع :
أ.م.د. ثابت حسين مظلوم
عضواً

التوقيع :
أ.م.د.محمد فاضل السامرّي
عضواً

العميد
أ.د.محمد عبيد عبد الله الكبيسي
٢٤ / ٥ / ٢٠٠٥ م

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة بغداد – كلية العلوم الإسلامية
للدراسات العليا

موقف القرآن الكريم من التعامل مع الخصوم

دراسة موضوعية

أطروحة قدمها
إياد حميد إبراهيم النعيمي

إلى مجلس كلية العلوم الإسلامية – جامعة بغداد وهي جزء من متطلبات نيل درجة الدكتوراه في اصول الدين – تخصص التفسير وعلومه

بإشراف الدكتور
هاشم عبد ياسين المشهداني

١٤٢٥هـ ٢٠٠٥م